طافحة بالذهب والعبيد والحبوب؛ وعندما تبرز المجاعة فإنهم الوحيدون الذين لا يقاسون قطّ منها. ولقد كدّسوا الامتيازات على مرّ العهود. وما من يافع يُحسِن خطّ حرفين في لوح من غير أن يُمسك بيده أحد الكهنة. ولا من صكّ بَيْعٍ يُعقَد من غير أن يقتطعوا نصيبهم منه. ولا من نزاع يمكن أن يُفضّ من غير حكومتهم. وفوق هذا فإن لهم أن يقرّروا ما إذا كان مرسومٌ ملكي متوافقاً مع الشريعة الإلهية، شريعة يفسّرونها بالطبع حسب ما يلائمهم. بيد أني أُذْعِن وأتحاشى معارضتهم ولا أسعى إلى حرمانهم من هذه الامتيازات المُفرِطة. فهل تتصّور أن ملك الملوك قادر على مثل هذا القَدْر من الصبر؟.

فوجئ «ماني» بأنه شرع في حركة إشفاق فيما واصل سيد «الإمبراطورية» تعداد اتّهاماته.

ـ أتظنّ أنه يكفيهم هذا كله؟ إن ذلك سيكون جهلاً مُطبِقاً بكهنة (ميديا)! إنه «العرش»، «عرشي» أنا، هو الذي يطمعون فيه، ولا شيء أقلّ منه، ولمّا كانوا عاجزين عن الاستحواذ عليه فإنهم يرغبون في تشويهه وإخضاعه لوصايتهم الجارفة.

» وإذ شعر أبي، «أردشير» الإلهيّ، بدنوّ أجله ذات يوم فقد حضر أعظمُ الكهنة إلى فراش مرضه يحملون بعناية فائقة بضع صفحات منسوخة من «الأڤستا» وشرعوا يقرأونها بأبّهة كبرى وسط دخان خانق من البخور. ماذا كانوا يبتغون؟ تعزية سيّدهم وجعل ساعاته الأخيرة أقلّ مشقّة؟ أن يصفوا له عالماً أفضل تُنسى فيه آلامه ويكون في مكنته أن يتبوّأ فيه مكانه بين ملوك الماضي الأماجد؟ كلا، إن شيئاً من هذا لم يكن ليجعلهم يهرعون من مواقد النار الأربعة الكبرى في «الإمبراطورية». وإذا كانوا قد تحرّكوا من أمكنتهم فلغاية وحيدة هي حمل والدي الشائخ المتضائل على توقيع قرار يسمح للمُوبَذان بتسمية الخَلَف على «العرش»! وإنْ صُوِّر الأمر بالطبع بشكل آخر: إن ملائكة «السماء» هم وحدهم المفوَّضون حسب «الأڤستا» لتسمية ملك الملوك المقبل، إلا أن اختيار الملائكة ينبغي، حسب فقرة أخرى من «الكتاب»، أن يُنقَل إلى